تفسیر ماتریدی

ثانیا: التأویل

التأویل لغة:

یدور حول معنیین ال ثالث لهما:

الأول: بمعنى الرجوع و العود و العاقبة.

و الثانی: بمعنى تفسیر الکلام و تبیین معناه.

و قد أشارت کتب اللغة إلى المعنیین، ففی اللسان أن التأویل من «الأول: الرجوع، آل الشیء یئول أوالا و مآل: رجع ... و فی الحدیث «من صام الدهر فلا صام و لا آل»[1]، أی: لا رجع إلى خیر، و أول الکلام و تأوله: دبره و قدره، و أوله و تأوله: فسره»[2].

و قد کثر استعمال لفظ «التأویل» فی القرآن الکریم بمعنییه، فمن الأول قول الله تعالى:

هل ینظرون إلا تأویله یوم یأتی تأویله [الأعراف: 53] یعنی ما یئول إلیه فی وقت بعثهم و نشورهم.

و من الثانی قوله تعالى: فأما الذین فی قلوبهم زیغ فیتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأویله [آل عمران: 7] فالتأویل هنا یعنی التفسیر و التعیین و التوضیح.

التأویل اصطلاحا:

التأویل عند السلف فی تعریفه غیره عند الخلف؛ فالتأویل عند السلف یأتی على معنیین:

الأول: تفسیر الکلام و بیان معناه، و بذلک یکون التأویل و التفسیر مترادفین.

و الثانی: وه نفس المراد بالکلام، فإن کان الکلام طلبا کان تأویله نفس الفعل المطلوب، و إن کان خبرا کان تأویله نفس الشیء المخبر به.

و بین هذا المعنى و الذی قبله فرق ظاهر، فالذی قبله یکون التأویل فیه من باب العلم و الکلام: کالتفسیر و الشرح و الإیضاح، و یکون وجود التأویل فیه القلب و اللسان، و له الوجود الذهنی و اللفظی و الرسمی. و أما هذا فالتأویل فیه نفس الأمور الموجودة فی الخارج، سواء أ کانت ماضیة أم مستقبلیة، فإذا قیل: طلعت الشمس، فتأویل هذا وه نفس طلوعها، و هذا فی نظر ابن تیمیة وه لغة القرآن التی نزل بها؛ و لهذا یمکن إرجاع کل ما جاء فی القرآن الکریم من لفظ التأویل إلى هذا المعنى الثانی[3].

أما الخلف من المتفقهة و المتکلمین و المتصوفین و غیرهم فقد رأوا أن التأویل یعنی:

صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدلیل یقترن به.

و المتأول عندهم يحتاج إلى أمرين:

الأول: أن يبين احتمال اللفظ للمعنى الذي حمله عليه و ادعى أنه المراد.

الثاني: أن يبين الدليل الذي أوجب صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معناه المرجوح، و إلا كان تأويله فاسدا و تلاعبا بالنصوص[4].

و من ثم قال الزركشي: «التأويل: التمييز بين المنقول و المستنبط؛ ليحمل على الاعتماد في المنقول، و على النظر في المستنبط؛ تجويزا له و ازدياده»[5].

و أوضح من هذا ما قاله صاحب جمع الجوامع و شرحه: «التأويل: حمل الظاهر على المحتمل المرجوح، فإن حمل عليه دليل فصحيح، أو لما يظن دليلا في الواقع ففاسد، أو لا لشيء فلعب لا تأويل»[6].

ثالثا: المعنى:

المعنى لغة و اصطلاحا:

يراد بالمعنى لغة: القصد و المراد، جاء في اللسان: «عنيت بالقول كذا: أردت، و معنى كل كلام و معناته و معنيته: مقصده، و يقال: عرفت ذلك في معنى كلامه و معناة كلامه و في معنى كلامه» [7].

و له علاقة بالإظهار و الوضوح، كما تقول: عنت القربة: إذا لم تحفظ ماءها بل أظهرته، و منه عنوان الكتاب، أي: الجزء الظاهر منه و المنبئ عما بداخله[8].

و تجدر الإشارة إلى أن هناك لفظا رابعا له اتصال بألفاظ التفسير و التأويل و المعنى، و هو لفظ البيان، و يعني: إظهار المتكلم المراد للسامع، و هو أعم من الألفاظ الثلاثة جميعا؛ لشموله كل من بيان التغيير و بيان التقرير، و بيان الضرورة، و بيان التبديل[9].

الفرق بين التفسير و التأويل:

يمكن القول: إن حاصل ما تضمنته عبارات العلماء العديدة في هذا المقام لا يخرج عن اتجاهين:

الاتجاه الأول: أن التفسير و التأويل ترجمة عن معنى واحد، بحيث إذا قلنا أحدهما على شيء قلنا الآخر عليه بلا أدنى فرق، و إلى هذا ذهب أبو عبيد و الطبري و طائفة[10].

و الاتجاه الثاني: أن التفسير و التأويل يختلف مدلول أحدهما عن الآخر اصطلاحا كما اختلفا لغة، و قد حمل لواء هذا الاتجاه النيسابوري و الزركشي و الراغب الأصفهاني و غيرهم ... و قد تشددوا في التفريق بين اللفظين أيما تشدد، حتى قال النيسابوري

معرضا: «قد نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير و التأويل ما اهتدوا إليه»[11].

و قد فرق العلماء بين اللفظين بفروق شتى، نورد أبرزها- خشية الإطالة- فمثل الراغب الأصفهاني يقول: «التفسير أعم من التأويل، و أكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ، و التأويل في المعاني»

[12].

و أبو طالب الثعلبي يفرق فيقول: «التفسير: بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازا، كتفسير «الصراط» بالطريق، و «الصيب» بالمطر. و التأويل: تفسير باطن اللفظ، مأخوذ من الأول، و هو الرجوع لعاقبة الأمر، فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد، و التفسير إخبار عن دليل المراد»[13].

و الماتريدي صاحبنا يقول: «التفسير: القطع على أن المراد من اللفظ هذا، و الشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به صحيح، و إلا فتفسير بالرأي، و هو المنهي عنه، و التأويل: ترجيح أحد المحتملات بدون قطع، و الشهادة على الله»[14].

و الأقوال كثيرة في التفريق بين التفسير و التأويل، بعضها يصل بمفهوم المصطلحين إلى حد التباين، و لعل أولاها بالقبول ما ذكره جملة من العلماء من أن التفسير يرجع إلى الرواية، و التأويل يرجع إلى الدراية و الاستنباط؛ لأن التفسير كشف و بيان عن مراد الله، و الكشف عن مراد الله لا ينجزم به إلا إذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، أو عن بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي، و علموا ما أحاط به من حوادث و وقائع، و خالطوا رسول الله صلى الله عليه و سلم و رجعوا إليه فيما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم. أما التأويل فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل، و هذا الترجيح يعتمد على الاجتهاد.

و من ثم قال الزركشي- فيما أشرنا إليه من قبل-: «و كأن السبب في اصطلاح بعضهم على التفرقة بين التفسير و التأويل، التمييز بين المنقول و المستنبط؛ ليحمل على الاعتماد في المنقول، و على النظر في المستنبط»[15].

و خلاصة القول: أنه برغم الاختلاف بين المصطلحين، فإنهما يشتركان في معنى واحد، و هو محاولة الكشف عن حقيقة شيء، و أنه حين يستخدم كل منهما في شرح ألفاظ القرآن و بيان معانيه فإنه يجمعهما هذا المعنى العام.[16]

---

[1] (3) ذكره بلفظه ابن الأثير في النهاية(1/ ٦٣).

و له شاهد من حديث عبد الله بن عمرو

أخرجه البخاري(4/ ٧٤١) كتاب الصوم باب حق الأهل في الصوم(١٩٧٧)، و مسلم(2/ ٨١٤- ٨١٥) كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر(١٨٦/ ١١٥٩)، و أحمد(2/ 164، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٥، ٢١٢)، و عبد الرزاق(٧٨٦٣)، و الحميدي(٥٩٠)، و عبد بن حميد(٣٢١)، و الترمذي(2/ ١٣٢) كتاب الصوم باب ما جاء في سرد الصوم(٧٧٠)، و ابن ماجه(3/ ١٩٤) كتاب الصيام باب ما جاء في صيام الدهر(١٧٠٦)، و النسائي(4/ 206) كتاب الصيام باب ذكر الاختلاف على عطاء في الخبر فيه، و ابن خزيمة(٢١٠٩)، و الخطيب في تاريخه(1/ ٣٠٧) من طريق أبي العباس الشاعر عن عبد الله بن عمرو ... فذكره مطولا و قال في آخره قال النبي صلى الله عليه و سلم« لا صام من صام الأبد» مرتين.

[2] (4) ابن منظور: لسان العرب مادة(أول)(1/ ١٧١)، و ينظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط(أول)(٣/ ٣٣١).

[3] (1) ينظر: د. الذهبي: التفسير و المفسرون(١/ ١٩).

[4] (2) ينظر: السابق(١/ ١٩، ٢٠).

[5] (1) البرهان في علوم القرآن(٢/ ١٧١، ١٧٢).

[6] (2) د. الذهبي: التفسير و المفسرون(1/ 20) نقل عن جمع الجوامع(٢/ ٥٦).

[7] (3) اللسان، مادة(عنى).

[8] (4) ينظر: السابق، المادة نفسها.

[9] (5) ينظر: الجرجاني: التعريفات، مادة(أول).

[10] (6) ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن(٢/ ١٧٣).

[11] (1) السابق، الصفحة نفسها.

[12] (2) د. الذهبي: التفسير و المفسرون(1/ ٢١)، و د. السيد خليل: نشأة التفسير في الكتب المقدسة و القرآن ص 29 نقل عن: مقدمة في التفسير للراغب ص ٤٠٢، ٤٠٣.

[13] (3) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن(٢/ ١٧٣). و ينظر: د. أبو شهبة: الإسرائيليات و الموضوعات في كتب التفسير ص ٤٣.

[14] (4) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن(2/ 173)، و التفسير و المفسرون(١/ ٢١، ٢٢).

[15] (1) البرهان في علوم القرآن(٢/ ١٧١، ١٧٢).

[16] تأويلات أهل السنة ج1 ١٨٢-١٨٦

بازبینی #1
ایجاد شده 27 آوریل 2025 13:51:47 توسط ... .
به روزرسانی شده 27 آوریل 2025 13:58:15 توسط ... .